JOURNAL OF HADITH STUDIES

Vol 8. No. 2 (December 2023)
eISSN: 2550-1488
journalofhadith.usim.edu.my

التقمص العاطفي وتطبيقاته في السنة النبوية

(Empathy and its Application in The Prophetic Tradition)

Ili Dalila Binti Mohd Redzwan[1], Ahmed El-Mogtaba Bannga[2]

[1,2] AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia

Abstract
Empathy is one of the components of emotional intelligence and it is defined as the ability to perceive what other is experiencing whether it is emotionally or cognitively. It is said that during the age of social media, the ability of people to empathize with others has dwindled as the consequence of the role played by algorithms in creating what is known as the "filter bubbles" that skew or limit the information an individual user sees on the internet based on the searches. This study aims to lay down the Islamic foundation in the subject matter of empathy and to address its application in the Prophetic tradition. The research adopts inductive and analytical approaches in presenting the discussion regarding the application of empathy and important addition rendered by the Prophetic tradition in the subject. Some of the findings of the research lies in several observations; the empathic capacities which are innate in human being originated from Allah and that He is the source of compassion and mercy; there are abundant of aḥadīth that encourage us to take the perspective of others as perspective-taking is one of the essential components in empathy: and empathy is the mechanism of altruism and helping behaviour while also instigating other good characters and traits in human being.

Keywords *Empathy, sympathy, emotional intelligence, perspective-taking, Prophetic tradition.*

Article Progress

Received: 11 October 2023
Revised: 29 October 2023
Accepted: 17 November 2023

*Corresponding Author:
Ili Dalila Binti Mohd Redzwan.
AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, IIUM.

Email:
umm.abdillah85@gmail.com

المقدّمة:

إن الله ﷻ خلق الإنسان ليكون كائناً اجتماعياً، قال ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (١٣)﴾ [الحجرات]. ولأجل ذلك خلقت حواء لتكون رفيقة لآدم عند بدء خلق الإنسان ليتاح له ألفها والاطمئنان بها حيث قال ﷻ: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** (١٨٩)﴾ [الأعراف]. فاستمرارية الإنسان ورفاهيته في الحياة تتوقف بدرجة كبيرة على صلته وارتباطه مع الآخرين. بل يقال اشتقاق الإنسان من الأنس وهو ضد الوحشة، لأن بعضهم يأنس إلى بعض. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أن الاجتماع الإنساني ضروري والإنسان مدني بالطبع[1].

[1] عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١، ص٥٤.

لما خلق الله ﷻ الإنسان على هذه الطبيعة، فإنه ﷻ يوفّر عباده بالكفاءة على الاتصال بالناس والحصول على القوة الاجتماعية ألا وهو عن طريق التقمص العاطفي (empathy). هذه المصطلح، وإن كان حديثاً، فهو مقدرة مزوّدة في نفس الإنسان أزلياً. إن التقمص العاطفي، أو التعاطف، يمنح الناس المقدرة على إدراك بيئتهم الإجتماعية في أي لحظة كانت، وكذلك الطاقة في توقع أفعال الآخرين الذي يساعدهم في حسن تعاملهم. فالتقمص العاطفي يلعب دوراً مهماً في ضمان المعايشة السليمة وتعزيز التفاهم المتبادل بين الناس.

ومع ذلك، إنه يقال التطورات التكنولوجية في أيامنا هذه خاصة الوسائل الإعلام الاجتماعي، قد يؤثر في انحطاط قدرة الناس على التقمص العاطفي واعتبار منظور الآخرين لأن تجربة الإنسان على الإنترنت، الذي يغلب استخدامه في الوقت الحالي، كثيراً ما تتوقف على الخوارزميات (algorithms) وتلك تثمر نتائج البحث المخصصة وتدفقات الأخبار المخصصة لكل واحد منا. هذا يعني لا سبيل لنا معرفة ما يجربه الآخرون على الإنترنت وهذه الظاهرة تجعل البون في الأساس المشترك بين الناس في الخبرة الحياتية أن يتضخم، فأصبح الإدراك الاجتماعي (social perception) مشوشاً ومنحرفاً[2].

وعليه فإنه يستحق علينا الاهتمام بما جاء في السنة النبوية من المدلولات والتطبيقات حول هذا الموضوع ليتسنى للأمة الإسلامية التحلي بهذه السمة على أفضل طريقة ممكنة، وتنمو وتترقى بذلك إلى المجتمع الفاضل، كما قال الله ﷻ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** (٢١)﴾ [الأحزاب]. ومن وسائل تقويم الأخلاق واكتسابها هو اتخاذ القدوة الحسنة، وخير القدوة على البتة نبينا ﷺ. يتناول هذا البحث عرض الأحاديث الواردة في موضوع التقمص العاطفي وتحليلها، والتي من خلالها يظهر ما يتعلق بأبعاد مختلفة لهذه السمة الشخصية.

مفهوم التقمص العاطفي

قبل الحديث في التعريف باعتباره مركباً إضافياً، ستتصدّى الباحثة أولاً لتعريف مفرداته:

[2] انظر:

Jaron Lanier, *Ten Arguments for Deleting Your Social Media Accounts*, (New York: Henry Holt and Company, 2018), 77-85.

التقمص لغةً: من "قَمَصَ". قال ابن فارس: " القاف والميم والصاد أصلان: أحدهما يدل على لبس شيء والانشيام فيه، والآخر على نزو شيء وحركة. فالأول القميص للإنسان معروف. يقال: تقمصه، إذا لبسه. ثم يستعار ذلك في كل شيء دخل فيه الإنسان، فيقال: تقمص الإمارة، وتقمص الولاية"[3].

والعاطفة لغةً: قال ابن منظور: "عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفاً: انصرفَ. وعَطَفَ عَلَيْهِ يَعْطِفُ عَطَفاً: رَجَعَ عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ أَو لَهُ بِمَا يُرِيدُ. وتَعَطَّفَ عَلَيْهِ: وصَلَه وبرَّه. وتعطَّف عَلَى رَحِمه: رَقَّ لَهَا. والعاطِفةُ: الرَّحِم، صِفَةٌ غَالِبَةٌ. وَرَجُلٌ عَاطِف وعَطُوف: عَائِدٌ بِفَضْلِهِ حَسَنُ الخُلُق"[4].

واصطلاحاً، هناك العديد من التعريفات للعاطفة ولا يوجد تعريف واضح الحدود لذلك. قد يقال أنها عبارة عن نمط التفاعل المعقد الذي يشمل عناصر تجريبية، وسلوكية، وفسيولوجية[5]. ويمكن استنتاج سمات نموذجية للعاطفة كالآتية[6]:

- أنها تنبثق عند إقبال الشخص على حالة ما التي يعتبرها مهمة وهادفة في حياته.
- أن لها متعددة الأوجه حيث إن المظاهر التي تتجلى بسببها تضمن تغيرات متنوعة.
- أنها مرنة وقابلة للتغيير.

وأما تعريف "التقمص العاطفي" بالتركيب: فإن الباحثين قد اختلفوا في وضع مفاهيم التقمص العاطفي لأنه يمكن تصوره من ناحية عاطفية وكذلك من ناحية عقلية معرفية، وهو أيضا يحتمل أن يتأتى بقصد أو عن غير قصد من قبَلِ متلقيه. للتقمص العاطفي طبقات وأبعاد متعددة، فمفهومه وتصوره مركب إلى حد ما.

---

[3] أحمد بن فارس بن زكرياء الفزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٥، ص٢٧.

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٩، ص٢٤٩.

[5] انظر:

The Science of Emotion: Exploring the Basic of Emotional Psychology, (University of West Alabama Online, 2019), 4. https://online.uwa.edu/wp-content/uploads/2019/04/Science-of-Emotion-Guide-UWA.pdf , accessed on September 7, 2023.

[6] انظر:

Michael D. Robinson, Edward R. Watkins and Eddie Harmon-Jones, eds., *Handbook of Cognition and Emotion*, (New York: The Guilford Press, 2013), 212. https://www.uv.mx/rmipe/files/2017/12/handbook_of_cognition_and_emotion.pdf , accessed on September 7, 2023.

فالباحثون سعوا إلى الأخذ بهذه الاعتبارات المتنوعة المعقّدة عند تعريف التقمص العاطفي. مثلاً، إن التقمص العاطفي قد يوصف بإحساس الشخص أنه يفهم ويدرك حالة عاطفية عند شخص آخر، وهذا يشمل شعوراً مشابهاً لما يشعر به الآخرون[7]. وهناك تعريف آخر أن يكون لدى الشخص الشعور بالاهتمام تجاه شخص آخر، أو يشارك الشخص عواطف الآخرين، إيجابياً كانت أو سلبياً، وهو لا يكون على وعي بذلك الأمر[8].

يتكون التقمص العاطفي من مقومين وهما: التعاطف العاطفي (affective empathy) والتعاطف المعرفي (cognitive empathy). يتأصل التعاطف العاطفي من التعريفات التي تشتمل على الجانب الوجداني فقط، فهذا الجزء من التقمص العاطفي يركّز على عمليته العاطفية ويعيّنه من خلال ملاقاة ومشاركة العواطف. وأما التعاطف المعرفي يعالج ما يتعلق بجانبه العقلي المعرفي، مثلاً فهم مشاعر الآخرين، واعتبار وجهة نظر الآخرين وأخذ أدوارهم. وهو يتصل اتصالاً وثيقاً بنظرية العقل (theory of mind) التي ترجع إلى نيابة وإدراك حالة عاطفية الآخرين على وجه العموم.

وتجدر الإشارة إلى أن أثناء تطور مفاهيم التقمص العاطفي، هناك عناصر كثيرة اعتنى بها الباحثون، وبعد العديد من البحوث والدراسات، رأوا شمولية وتكاملية مفهوم التقمص العاطفي وذلك يتجاوز تخصصات متعددة[9]. إن جوهر التقمص العاطفي هو جزءه الوجداني، وإنما جزءه العقلي المعرفي عبارة عن الطريقة التي تقتضي إنشاءه وحدوثه.

السياق التاريخي والنماذج النظرية لمفهوم التقمص العاطفي[10]

إن مصطلح "التقمص العاطفي" و"التعاطف" (sympathy) مستخدم في سياقات مختلفة متداخلة مع المعاني ذات الصلة. ووجدت الباحثة مصطلح "التعاطف" يستخدم كثيراً على الإنترنت ليقصد به التقمص العاطفي (empathy)[11].

---

[7] انظر:

Sean M. Laurent, "Empathic Merging of Selves: Perspective Taking and Self-Other Overlap", in *Psychology of Empathy*, ed. Danielle J. Scapaletti (New York: Nova Science Publishers, Inc., 2011), 3.

[8] المرجع السابق.

[9] انظر:

Josip Bošnjaković and Tanja Radionov, "Empathy: Theories, Concepts and Neuroscientific Basis", *Alcoholism and Psychiatry Research*, 2018, no. 54: 6-7. DOI: 10.20471/dec.2018.54.02.04

[10] انظر:

Mark H. Davis, *Empathy: A Social Psychological Approach*, (Wisconsin: Brown & Benchmark Publishers, 1994), 3-9.

[11] ستسلك الباحثة هذا المنوال وستستخدم مصطلح "التقمص العاطفي" و"التعاطف" تبادلياً أثناء كتابة البحث.

للتعاطف جذوره الأولى في الفلسفة الأخلاقية في القرن الثامن عشر حيث رأى الفيلسوف الأخلاقي في ذلك الوقت Adam Smith بأن الإنسان مشبع طبيعياً بامتلاك القدرة لتجربة ما يسمى بـ"شعور الزمالة" عند مشاهدة الآخر الذي يلاقي حالة عاطفية شديدة. وهذا الشعور قد يتخذ أشكالاً متعددة؛ مثلاً الشفقة للحزناء، والعذاب والألم للبائسين، والفرح للناجحين، وغير ذلك. وعرّف Adam Smith هذه الأحوال كلها بالتعاطف (sympathy).

وأما التقمص العاطفي (empathy) جاء من مصطلح ألماني (*Einfühlung*) الذي يتعلق بالجماليات، حيث إنه أصلاً يستخدم عند الملاحظين الذين لهم ميول في إقحام أنفسهم إلى ما يتأملونه من المواد الجمالية. وفيما بعد، جاءت محاولات كثيرة في تعريف التقمص العاطفي، وفي بداية القرن العشرين بدأ تعريفه في مجال علم النفس. وأما لفظه بالإنجليزي اخترعه العالم النفساني الإمريكي Edward B. Titchener في عام ١٩٠٩ كالترجمة لذلك اللفظ من اللغة الألمانية.

هناك فارق مهم، بيْدَ خفاءه، بين التعاطف (sympathy) والتقمص العاطفي (empathy) وهو أن التعاطف يتركز على طرء الشخص على الشعور بما يشعر به الآخر. وهذا يعتبره الباحثون أقل نشاطاً من العمليات التي يستلزمها التقمص العاطفي لأنه عبارة عن محاولة نشيطة من الشخص في الدخول إلى نفس الآخر للتواصل معه من خلال جهد فكري قصدي. فهذا كان الأصل نظرية الجانب العقلي المعرفي للتقمص العاطفي حيث إنه لا يقتصر على الجانب الوجداني كما كان في التعاطف (sympathy).

بسبب ما كان للتقمص العاطفي من أبعاد مختلفة التي تصدر منها تعاريف متعددة، فهناك حاجة ماسة إلى تكوين نموذج تنظيمي له؛ والغرض من ذلك النموذج لإبراز الترابط بين الأبعاد والتركيبات التي تحدد حدوث التقمص العاطفي.

عند حادثة التقمص العاطفي، هناك أربع بنى التي يمكن تثبتها وهي كالآتية:

- السوابق (antecedents)؛ وهذه تشير إلى خصائص الملاحظ، والمستهدف، والظرف.
- العمليات (processes)؛ وهذه ترجع إلى آليات خاصة التي تصدر منها الآثار التعاطفية.
- Intrapersonal outcomes؛ وهذه تنطبق على ردود عاطفية وعقلية التي تصدر من الملاحظ وتلك الردود قد لا تتجلى في السلوك العلني تجاه المستهدف.
- Interpersonal outcomes؛ وهي التي تتعلق بالاستجابات السلوكية تظهر على المستهدف.

ويمكن خلاصة هذه النقاط في الجدول[12] الآتي:

[12] المرجع السابق، ص١٣.

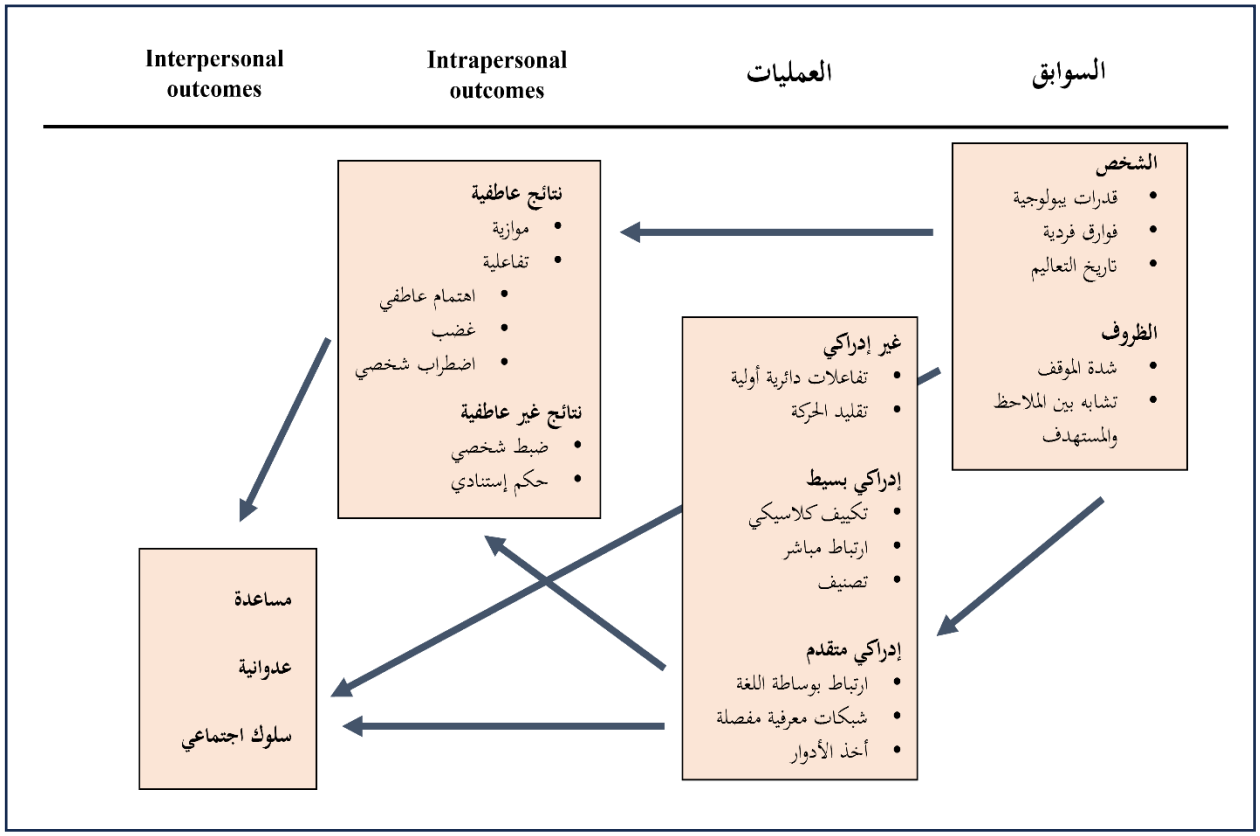

الجدول (١)

يقدم الجدول (١) العلاقة بين البنى الأربع التي لا بد لنا أن نأخذها بعين الاعتبار في دراسة التقمص العاطفي. ويفترض أن يكون هناك الارتباط والتداعي بين بنية واحدة وبين بنى أخرى. وبالإضافة إلى ذلك، يترتب من منطق النموذج أيضاً على وجود أقوى الارتباط بين البنى التي تكون مجاورة فيه؛ مثلاً بين السوابق والعمليات، أو بين العمليات وintrapersonal outcomes، أو بين intrapersonal outcomes وinterpersonal outcomes. إذن، أقوى العوامل عند حادثة التقمص العاطفي يتوقف على أقرب التركيبات.

التأصيل الشرعي للتقمص العاطفي وتطبيقاته في السنة النبوية

كما رأينا في السياق التاريخي للتقمص العاطفي، هذا المصطلح نشأ متأخراً في أواخر القرن التاسع عشر. وعليه فإنه من المحتمل أن لا نجد هذا اللفظ بالضبط على معناه الاصطلاحي في النصوص الشرعية. ورغم ذلك، بعد القيام بتحليل الأبعاد المتعددة من خلال النموذج التنظيمي للتقمص العاطفي في الجدول (١)، يمكننا اكتشاف هذه الميزة من نطاقاته المتنوعة على أنه أصلاً متوافرة ضمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ويتأتى تصنيف هذه النصوص في غضون هذه المنطلقات الأساسية:

امتياز النبي ﷺ بالرفقة والرحمة

إن الرفقة والشفقة والرحمة والإيثار ثمرات التقمص العاطفي، كما صورها النموذج التنظيمي في الجدول (١) أن intrapersonal outcomes مكون من مكونات التقمص العاطفي. لقد اتّسم النبي ﷺ بهذه الصفات الكريمة حيث وصفه الله ﷻ بالرحمة كما جاء في القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء]. وورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه إنه قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، ادع على المشركين، فقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[13]، لأن اللعنة تقتضي الهلاك والبعد عن رحمة الله، لو دعا النبي ﷺ على الكافرين، فذلك يعارض ما عليه من مهمة دعوة الناس إلى الجنة ومغفرة الله ﷻ[14].

ومما يبين ما عند النبي ﷺ من التعاطف والرحمة الذي يمكن أن نميزه بـ"intrapersonal outcomes" (التي ردوده قد لا تظهر في السلوك العلني تجاه المستهدف) هو ما يشهده الله ﷻ في القرآن حيث قال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة]. وموضع الشاهد في الآية عند قوله ﷻ (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ) يشير إلى اهتمام تعاطفي (empathic concern) الذي صدر عن النبي ﷺ حيث يشق عليه الأمر الذي يشق على المؤمنين ويتعبهم. وكذلك اضطراب شخصي الذي يعاني منه النبي ﷺ بسبب تولي الكافرين عن الإيمان بالله كما أخبرنا به ﷻ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها ما جاء في قوله ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)﴾ [الكهف]، وأيضاً قوله ﷻ: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ (٨)﴾ [فاطر]. وهذه الآيات تدل على اضطرابه وحزنه ﷺ على ما وقع من المشركين من الكفر بالله ﷻ، وذلك بسبب حرصه الشديد على هداية الخلق إلى النجاة في الدنيا والآخرة. إن التدفق والفيضان في التقمص العاطفي لم يكن غرضاً نهائياً منه، ولأجل ذلك تبينتْ حكمة الله من تسليته ﷻ للنبي ﷺ حتى تهدأ عواطفه.

لو استقصينا أطوار نشاط النبي ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة المنورة، كان في العام الأول والنصف الأول من العام الثاني أنه يتوجه اهتمامه ﷺ إلى أعمال سلمية بناءة إيجابية منها: إقامة مسجده، وأداء فريضة الصيام، وإنشاء تشريع الأذان، وتدبير المجتمع داخليا وصالحا. ولما جاء منتصف العام الثاني، بدأ ظهور الاجراءات الحربية حيث يتصدون لقوافل تجارة قريش تجهيزا لمنازلتهم. قال الشيخ عبد الله دراز لما تحدث عن الأسباب التي تفضي إلى هذا

---

[13] أخرجه مسلم في صحيحه. انظر : مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق : محمد فؤاد الباقي، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٤، ص٢٠٠٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث: ٢٥٩٩.

[14] انظر: أبو الفضل عياض بن موسى البستي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، (مصر: دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٨، ص٦٨.

التغيير المفاجئ: "يستحيل علينا أن ننسب الباعث إلى نفسية الرسول، فالاجراءات الحربية في الحقيقة ليست من طبعه ولا من عادته، بل العكس هو الصحيح إذ كثيرا ما جلب عليه تسامحه وعفوه عن المشركين لوما من القرآن[15]. فقد نقل إلينا الأثر كثيرا من عفوه ومغفرته تجاه جرائم ارتكبت ضد شخصه أو ضد ذويه"[16].

إن التقمص العاطفي عند النبي ﷺ لا يقتصر ظهوره في أحوال ضائقة ومضطربة، بل يتعدى كذلك إلى الأوقات يسعد فيه الناس، كما جاء في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه لما أوحى الله ﷻ على النبي ﷺ بتوبته على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. قال كعب رضي الله عنه: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَهوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، مُنذْ ولَدَتْكَ أُمُّكَ»، فقُلْتُ: أمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول اللَّهِ أَم مِنْ عِنْد الله؟ قَالَ: لاَ بَلْ مِنْ عِنْد الله ﷻ، وكانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنارَ وَجْهُهُ حتَّى كَأنَّ وجْهَهُ قِطْعَةُ قَمر، وكُنَّا نعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ»[17]. فكان النبي ﷺ يسرّه حصولهم على الخير في الدين من تبرئة الله لهم من الهجران والمقاطعة وتوبته ﷻ لهم.

لقد كثر النقاش بين الباحثين في تعيين التقمص العاطفي أهو من طبيعة الإنسان أو سلوك مكتسب الذي يمكن للإنسان التخلّق به. وتترتب على هذا الأمر نقطتان مهمتان اللتان ارتأت الباحثة بالحاجة إلى معالجتهما وهما؛ أولاً: هل حمل النبي ﷺ على اهتمامه التعاطفي وحرصه على الناس عموماً من طبيعته ومواهبه الخاصة؟ ولذلك، هل يعني أنه لا تلزم على أمته المجاهدة في اكتساب هذه السجية؟ وثانياً: كيف يمكن للنبي ﷺ أن يُظْهر الالتزام على هذا السلوك والأسلوب؟ وهل يحتمل علينا الاقتداء بذلك الالتزام؟

عالج العديد من البحوث والدراسات منذ الستينات إمكانية تدرّب التقمص العاطفي لأنه من المهارات الأساسية التي لها أهمية بالغة في الصلة والتواصل مع الناس[18]. والكلام عن تدرب الخلق والسلك الحميدة قد تناوله علماؤنا رحمهم الله في مصنفاتهم قبل قرون طويلة، مثلاً أبو زيد البلخي، وابن القيم الجوزية، وأبو حامد الغزالي، وغيرهم في باب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق. قال الغزالي: "فإذن قد عرفت بهذا قطعا، أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن

---

[15] ومثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (٦٧)﴾ [الأنفال].

[16] محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن، (الكويت: دار القلم، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٥٧.

[17] أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، (د.م : دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة: ١١٨]، ج٦، ص٣، رقم الحديث: ٤٤١٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج٤، ص٢١٢٠، رقم الحديث: ٢٧٦٩.

[18] انظر:

Bošnjaković, Radionov, "Empathy: Theories, Concepts and Neuroscientific Basis", 140.

اكتسابها بالرياضة؛ وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير طبعا انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح – أعني النفس والبدن – فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور"[19]. ولذلك، يمكننا غرس هذه القدرة وتقويتها منذ الطفولة؛ كما اعتبرها Ellen Gallinsky من المهارات الضرورية السبع التي يحتاج إليها الأطفال في حياتهم وهي اعتبار منظور الآخرين، جزء مهم من التقمص العاطفي[20].

وأما قدرة الإنسان على ثباته والتزامه على سلوك معين بغض النظر عن البيئات والظروف التي تحيط به، فهذا يكون موضع التحير لدى الباحثين إلا أن William P. Alston، فيلسوف أمريكي، طرح فكرةً أن إمكانية الإنسان على ذلك ترجع إلى محدداته النفسية الداخلية وهي؛ إرادة الإنسان في تحقيق هدف خاص، واعتقاده الذي يمدّ له أسساً في اختيار أفضل الوسائل لحصول هدفه، وقدرته على إنجاز ذلك المشروع[21]. وبناءً على هذا، ارتأت الباحثة بمناسبة النقطة التالية حول موضوع التقمص العاطفي وهي:

الإيمان بالله ﷻ أساس التعاطف بين الخلق

ارتأت الباحثة إن مما قدّمه Alston من العوامل التي تسهم في إمكانية ثبات الإنسان على سلوك معين إذ حمل النبي ﷺ على حرصه في إيصال الخير للناس وهدايتهم واهتمامه بما يشق عليهم ليس مجرد من طبيعته الخاصة، وإنما ينطلق ذلك من قوة إيمانه ﷺ بالله ﷻ واليوم الآخر. ويتجلى ذلك من التزامه ﷺ بمكارم الأخلاق عموماً، والتعاطف والرحمة للخلق خصوصاً.

إن قوة رغبة النبي ﷺ في إيصال الخير للناس وهداية الخلق إلى الله أثيرت بسبب علمه، ويقينه، وإيمانه بالجزاء وفصل القضاء في يوم القيامة خاصة بعد رؤيته ﷺ الجنة والنار. والأحاديث في ذلك كثيرة وقد رآهما مراراً، وإن اختلف أهل العلم هل تلك الرؤية حقيقية أو منامية.

---

[19] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٥٩.

[20] انظر:

Ellen Gallinsky, *Mind in the Making: The Seven Essential Life Skills Every Child Needs*, (New York: HarperCollins Publishers, 2010), 67-101.

[21] انظر:

William P. Alston, "Traits, Consistency and Conceptual Alternatives for Personality Theory", *Journal for the Social Theory Behavior*, 1975, no. 5, 8. https://andrewmbailey.com/wpa/TraitsConsistencyAlternatives.pdf, accessed on September 10, 2023.

لاحظنا في بداية دعوة النبي ﷺ، كان دافعه ﷺ في دعوة عشيرته الأقربين هو خوفه من عذاب الله وإنذارهم من ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» – لبطون قريش – حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (١-٢)﴾ [المسد][22].

إذن، العناصر الثلاثة (الإرادة، والاعتقاد، والقدرة) التي تصدر عن نفسية الإنسان الداخلية حيث تتوقف عليها إمكانية التزامه على سلوك معين تدل على علاقة القلب والجوارح، وقد يختلف بعضنا عن بعض في ذلك. فإن رغبات المؤمنين ووجهة أنظارهم تجاه هذه الحياة تختلف عن رغبات ووجهة أنظار الكافرين، بل قد تتفاضل تلك فيما بين المؤمنين. ولذلك، قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[23]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شأن المؤمنين: "وأما قولهم الزيادة في العمل الظاهر لا في موجبه ومقتضيه فهذا غلط، فإن تفاضل معلول الأشياء. ومقتضاها يقتضي تفاضلها في أنفسها، وإلا فإذا تماثلت الأسباب الموجبة لزم تماثل موجبها ومقتضاها؛ فتفاضل الناس في الأعمال الظاهرة يقتضي تفاضلهم في موجب ذلك ومقتضيه.."[24]. وأما في الفرق بين المؤمنين وبين الكافرين، قال: "كالشخصين إذا تماثلا في إيمان القلوب معرفة وتصديقا وحبا وقوة وحالا ومقاما فقد يتماثلان، وإن كان لأحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه بدن الآخر كما جاء في الأثر: إن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوّته في جسمه وضعفه في قلبه.."[25].

---

[22] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ (٢١٥)﴾ [الشعراء] أَلِنْ جَانِبَكَ، ج٦، ص١١١، رقم الحديث: ٤٧٧٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ (٢١٥)﴾ [الشعراء]، ج١، ص١٩٣، رقم الحديث: ٢٠٨.

[23] أخرجه أبو داود في سننه. انظر : سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق : شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، (بيروت : دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج٧، ص٣٩٦، أول كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث: ٤٦٨٢؛ والترمذي في جامعه. انظر : محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، تحقيق : بشار عواد معروف، (بيروت : دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٥، ص٣١، أبواب الرضاع، باب مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، رقم الحديث: ١١٦٢. قال الترمذي: "حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". واللفظ لأبي داود.

[24] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج٧، ص٥٦٣.

[25] المرجع السابق، ج٧، ص٣٤١.

فالإرادة، والاعتقاد، والقدرة قابلة للتغير إذ جعلها الله ﷻ من ضمن ما يسع للإنسان إدارتها وتأثيرها، كما قال الله ﷻ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير]. قال الشيخ عبد الرحمن ابن حبنكة الميداني في تفسير هذه الآية، أنه قد غلط كثير من الناس في فهمها، والتفسير الصحيح أن الله ﷻ قد شاء أن يخلق للمكلفين المسؤولين جهازاً خاصًّا وهو جهاز المشيئة الحرة حيث به يختار الإنسان ما يشاء القيام به من الأفكار، والأقوال، والأعمال[26]. ولذلك، نلاحظ ما يبدو من الناس من التفاضل في هذه العناصر لأنه يرتبط باختياراتهم. وعليه فإنه يعني الاقتداء بالنبي ﷺ في الالتزام بالأخلاق الفاضلة على وجه العموم، والرحمة للخلق على وجه الخصوص أمر ممكن لأنه من نطاق اختيارات الإنسان.

إن الإيمان بالله ﷻ يجب أن يكون مبعث اهتمامنا وشفقتنا على الخلق عموماً وعلى المؤمنين خاصة لأن النبي ﷺ قال: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[27]. رأت الباحثة بأن هذا الحديث من أوضح النصوص في الموضوع حيث يصرح في حض المؤمنين على أن يتقمصوا ما كان عند مؤمن آخر من المنظور والمشاعر حتى يكون لديهم التطابق في التجربة من السراء والضراء. وهذا التصرف يعدّ من الرحمة والمودة والتعاطف للخلق. ولو شعر المؤمنون بأنهم جسد واحد، لبادروا إلى علاج من تألم منهم. فالتقمص العاطفي يشفي ويداوي، بإذن الله تعالى. وقال النبي ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[28]، وجاء في رواية أخرى: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»[29] دون الشر. فجعل النبي ﷺ حب الإنسان الخير لأخيه المسلم من كمال الإيمان بالله ﷺ، ولا يمكن أن يحب الإنسان الخير لأخيه إلا لديه قدرة في اعتبار منظور الآخرين وأخذ أدوارهم.

وارتأت الباحثة أيضاً أن الحديث يشير إلى العلاقة بين الإيمان بالله والتطور الأخلاقي من خلال التعاطف والتراحم بين الخلق إذ ينشئ في الإنسان الدافع الأخلاقي بحمل المسؤلية على مصلحة الآخرين. قال الشيخ عبد الله دراز:

---

[26] انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، (دمشق : دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١، ص٤٣١.

[27] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج٨، ص١٠، رقم الحديث: ٦٠١١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤، ص١٩٩٩، رقم الحديث: ٢٥٨٦.

[28] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ج١، ص١٢، رقم الحديث: ١٣؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، ج١، ص٦٧، رقم الحديث: ٤٥.

[29] أخرجه أحمد في مسنده. انظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٢٠، ص٣٩٤، رقم الحديث: ١٣١٤٦.

"وإذن فليس من المستغرب أن نرى القرآن يقدم لنا المسؤولية الدينية ذاتها في صورة مسؤولية أخلاقية محضة... فعلى حين نستطيع أن نتصور بالنسبة إلى غير المؤمن مسؤولية تفرض عليه من خارج ذاته دون أن تكون لديه مسؤولية أخرى صادرة عن ضميره الخاص، نجد المؤمن – على العكس – لا يمكن أن توجد إحدى المسؤوليتين لديه دون الأخرى، لأن العمل الأول للإيمان يستلزم معرفة الله، الجدير بالطاعة والذي هو في الوقت نفسه محبوب معبود"[30].

قدرة التقمص العاطفي ربانية المصدر

من الأمور التي تناولها الباحثون الغربيون في موضوع التقمص العاطفي هي؛ من أين تنبع قدرة الإنسان على التقمص العاطفي بمختلف أشكالها؟ لماذا هذه القدرة مغروسة في الإنسان أصلاً؟ ما هي المزايا التطورية التي ستوفرها؟

بسبب أنهم يعتقدون بنظرية التطور (theory of evolution) التي يرى مؤيدوها بمفهوم الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح والأقوى وما شابه ذلك، هناك جدال قوي في منطق هذه النظرية إذ لو كان كذلك، كيف يمكن للإنسان أن يكون لديه الميول في تضحية مصلحته الذاتية وإيثار الآخرين؟

إن الإنسان منذ بداية طفولته بارع، بشكل مدهش، في التعرف على مشاعر الآخرين. بالفعل، التعلم العاطفي يبدأ مباشرة بعد ساعات من الولادة في شكل محاكاة ولها خطورة خاصة في تطوير قدرة التقمص العاطفي. وإن كانت، في الحقيقة، تتقدم أكثر بعد سنوات، يبدو أن للمواليد أساس في ذلك حيث إنهم يبكون عند سماع بكاء الآخرين منهم[31]. إن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ [النحل].

وهكذا يوضح القرآن الكريم أن كل ما جاء به الإنسان من القدرات والمهارات مصدره ربّاني. وكذلك في شأن الرحمة للخلق، قال أبو هريرة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[32]. وجاء عن سلمان الفارسي ما يقارب حديث أبي هريرة حيث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً،

[30] محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط.١٠، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص١٤٢.

[31] انظر:

Lise Eliot, *What's Going on in There: How the Brain and Mind Develop in the First Five Years of Life*, (New York: Bantam Books, 1999), 300.

[32] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، ج٨، ص٨، رقم الحديث: ٦٠٠٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، ج رقم الحديث: ٢٧٥٢.

فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[33]. فقدرة التقمص العاطفي سواء في شكل قدرة الإنسان الفطرية، أو سمته الشخصية، أو حدوثه في مواقف خاصة؛ كل ذلك أصله من الله ﷻ كما جاء في حديثي أبي هريرة وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين الذان يشيران إلى أن التراحم والتعاطف يقع بين الخلق على الأرض، حتى الذي بين البهائم، يأتي من جزء واحد من رحمة الله ﷻ!

وعلى نفس المنوال، كان امتياز النبي ﷺ بالشفقة والرحمة توفيق من الله ﷻ له، كما ورد في القرآن قوله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (١٥٩)﴾ [آل عمران]. قال القرطبي: "ومعنى الآية: أنه عليه السلام لما رفق بمن تولى يوم أحد ولم يعنفهم، بيّن الرب تعالى أنه إنما فعل ذلك بتوفيق الله تعالى إياه"[34].

حث الشرع على اعتبار منظور الآخرين

إن الفهم والتطرق إلى ما يشعر به الآخر لا يثير التقمص العاطفي بالضرورة، وإنما لا بد من ضبطه ضمناً. واعتبار منظور الآخرين جزء مهم من التقمص العاطفي الذي يرتبط بالجانب العقلي المعرفي، حيث إن الملاحظ يستحضر صورة ذهنية مما قد يصوغه المستهدف من الأفكار، والعواطف، ومعرفته السابقة لأجل فهم موقفه. وهذا يعتبر أكثر العمليات تقدماً فيما يشكّل التعاطف المعرفي، وهو يندرج تحت بنية "العملية" كما جاء في النموذج التنظيمي للتقمص العاطفي.

وهناك نوعان في طريقة اعتبار منظور الآخرين؛ النوع الأول هو استخدام الملاحظ المعطيات الأولية من تصرفات الآخر لاستدلال على صورته الذهنية، والنوع الثاني هو استخدام الملاحظ بنْيته العقلية من النظريات، والتأملات، والأنماط لاستدلال على الصورة الذهنية من قبل المستهدف[35].

وقد اكتشفت الباحثة – حسب اطلاعها المتواضع – عدة النصوص التي تشير إلى حث الشرع على اعتبار منظور الآخرين على نوعيه الاثنين وهي كالآتية:

---

[33] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، ج٤، ص٢١٠٨، رقم الحديث: ٢٧٥٣.

[34] محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج٤، ص٢٤٨.

[35] انظر:

Bertram F. Malle and Sara D. Hodges, eds., *Other Minds: How Humans Bridge the Divide Between Self and Others*, (New York: Guilford Press, 2005), 293.

- قوله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٩) ﴾ [الحجرات]. وموضع الشاهد من الآية هو قول الله ﷻ (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) إذ استدعى الاستفهام في الآية على أن يتصور المخاطب ويستحضر في ذهنه ما يعاني به المغتاب من عجزه على الدفاع عن نفسه في حالة الاغتياب حيث شبّهه الله ﷻ بالموت! وحرّض الله ﷻ الإنسان في هذه الآية أن يستخدم تنبؤه الذاتي حتى يمتنع من هذا الفعل المحرم لأننا أدرى وأعرف بما عندنا من الميول في الأفضلية، والسلوك، والاعتقاد وغيرها من الأمور تتعلق بالذات.

- وجاء في الحديث عن أبي أمامة قال: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا» . قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» . قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[36]. يدل هذا الحديث على أمرين؛ أولاً: عدم تسرع النبي ﷺ في تخطئة الشاب الذي يصرح برغبته في الزنا يأتي من قدرته ﷺ البليغة على التقمص العاطفي، وبالتالي يحدث التخفيض في الفراغ بين الطرفين من حيث الإنسانية وذلك غالباً يؤثر في استجابة المستهدف ما يطلب منه من الأمور. ويحمل النبي ﷺ أن ينصحه فيما يمنعه من الوقوع في الخطاء ويبادر إلى تصحيح تصور الشاب لإدراكه ﷺ أن الشاب يحتاج إلى الوقاية والعناية، وليست المؤاخذة واللوم. وثانياً: كان النبي ﷺ يرشد الشاب إلى أخذ دور الناس واعتبار منظورهم واستخدام التنبؤ الذاتي في إثارة عواطفه فيما لو كان الزنا يقع لأفراد عائلته من النساء. وقد جاء في رواية أن النبي ﷺ قال للشاب: «فاكره ما كره الله وأحب لأخيك ما تحب لنفسك»[37]. وعلاوةً على ذلك، كان النبي ﷺ يضع يده عليه ويمد له بالدعاء. وهذا الأسلوب الاعتطافي قد أحدث أثراً بالغاً في نفس الشاب فيترك الزنا.

---

[36] أخرجه أحمد في مسنده، ج٣٦، ص٥٤٥، رقم الحديث: ٢٢٢١١. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

[37] أخرجه البيهقي في سننه. انظر: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٩، ص٢٧١، جماع أبواب السير، باب في فضل الجهاد في سبيل الله، رقم الحديث: ١٨٥٠٧.

- عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[38]. هذا الحديث قد يطبق عليه ما يتعلق بالنوع الثاني من طريقة اعتبار منظور الآخرين لأنه يركز أكثر على طرف الملاحظ (والحديث لا يبرز كثيرا على طرف المستهدف) حيث يترتب على الملاحظ استخدام بنيته العقلية من التأملات والأنماط والتنبؤ الذاتي لاستحضار صورة ذهنية للمستهدف. قد تكون عاطفة الملاحظ في ذلك الوقت لا يتطابق تماماً بما كان عند المستهدف، مثلاً، في قصة الشاب الذي استأذن النبي ﷺ بالزنا، حالة النبي ﷺ العاطفية وحالة الشاب في ذلك الوقت بالفعل لا تتماثلان، فكيف يسمى هذا بالتقمص العاطفي؟ قد يقال العملية الداخلية في توليد التعاطف تنتج التطابق في العواطف أولاً، وبعد ذلك تتحول تلك الردود التعاطفية من قبل الملاحظ إلى حمل المسؤولية على حالة المستهدف[39].

- عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»[40]. يدل الحديث على رفقة النبي ﷺ واهتمامه التعاطفي على أمته، وإن تخليع قلق المسلم وحزنه أفضل من إطالة الصلاة[41]. ويتجلى أيضاً من الحديث أن النبي ﷺ يستخدم النوع الأول من طريقة اعتبار منظور الآخرين حيث إنه ﷺ يستحضر صورة ذهنية مما قد تصوغه الأم من الأفكار والعواطف لأجل فهم حالتها عند سماع بكاء صبيها.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ»[42]. إن العلة في النهي جاءت من أخذ منظور الآخرين، وفي هذه الحالة، يطلق على الشخص الثالث في المجموعة. قال الصنعاني: "فيه النهي عن تناجي الاثنين إذا كان معهما ثالث إلا إذا كانوا أكثر من ثلاثة لانتفاء العلة التي نص عليها، وهي أنه يحزنه انفراده وإيهام أنه

---

[38] سبق تخريجه، ص١١.

[39] انظر:

Joshua D. Wondra and Phoebe C. Ellsworth, "An Appraisal Theory of Empathy and Other Vicarious Emotional Experiences", *Psychological Review*, 2015, Vol. 122, no. 3, 416. https://psycnet.apa.org/doi/10.1037/a0039252, accessed on September 15, 2023.

[40] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، ج١، ص١٤٣، رقم الحديث: ٧٠٩؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، ج١، ص٣٤٣، رقم الحديث: ٤٧٠.

[41] انظر: محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ج٤، ص٢٢١.

[42] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، ج٨، ص٦٥، رقم الحديث: ٦٢٩٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، ج٤، ص١٧١٨، رقم الحديث: ٢١٨٤.

ممن لا يؤهل للسر أو يوهمه أن الخوض من أجله؛ ودلت العلة على أنهم إذا كانوا أربعة فلا نهي عن انفراد اثنين بالمناجاة لفقد العلة"[43].

- عن أبي سليمان مالك بن الحويرث، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[44]. استخدم الراوي كلمة (ظنّ) عندما وصف استنباط النبي ﷺ ما قد يصدر من الشبة من الأفكار والعواطف تجاه أهليهم بسبب طول القيام عنده ﷺ لتعلم دينهم. إن استخراج الملاحظ أفكار وعواطف المستهدف يأتي أصلاً من ظنه وحزره. ولذلك يوجد ما يسمى بالدقة التعاطفية ولها ثلاثة عناصر: الفهم التعاطفي، والتعبير التعاطفي، والتواصل التعاطفي[45]. ويبدوا في الحديث أن النبي ﷺ عبّر تعاطفه بسؤاله لهم عمن تركوا في أهليهم ورأوا أن ما يظهر عن النبي ﷺ من الرفقة والرحمة. إن الظن الذي يثير التقمص العاطفي والتعاطف لا يعتبر من الظن المنهي عنه الذي جاء في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (١٢)﴾ [الحجرات]، والذي ورد في قول النبي ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[46] لأن الظن المنهي عنه هو سوء الظن الذي يترتب عليه أنواع من المفسدة، كما جاء في الحديث: من التحسس، والتجسس، والتنافس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر. وأما الظن الذي يؤدي إلى التعاطف فهذا يحقق ما يحث عليه النبي ﷺ من الأخوة بين المؤمنين. نقل ابن حجر كلام الخطابي قائلاً: "قوله إياكم والظن قال الخطابي وغيره: ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبا، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها وما لا يقدر عليه لا يكلف به؛ ويؤيده حديث

---

[43] محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، (د.م: دار الحديث، د.ط، د.ت)، ج٢، ص٦١٦.

[44] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج٨، ص٩، رقم الحديث: ٦٠٠٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج١، ص٤٦٥، رقم الحديث: ٦٧٤.

[45] انظر:

William Ickes, "Empathic Accuracy", *Journal of Personality*, 1993, Vol. 61, no. 4, 591. https://greatergood.berkeley.edu/images/uploads/Empathic_Accuracy.pdf, accessed on September 16, 2023.

[46] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ج٨، ص١٩، رقم الحديث: ٦٠٦٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها، ج٤، ص١٩٨٥، رقم الحديث: ٢٥٦٣.44

تجاوز الله للأمة عما حدثت به أنفسها وقد تقدم شرحه. وقال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها.."[47].

التقمص العاطفي آلية للإيثار والغيرية

قد سبق الكلام عند الحديث «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» في الاستدلال على العلاقة بين الإيمان بالله والتطور الأخلاقي من خلال التعاطف والتراحم بين الخلق؛ إذ يبعث في الإنسان المستند الأخلاقي بحمل المسؤلية على مصلحة الآخرين، خاصة لمن يصاب بالألم، والخطر، والبؤس وغير ذلك، وهذا يدفع الشخص إلى المعاونة لإزالة ضررهم. وبينّا كذلك الطبقات والأبعاد المختلفة للتقمص العاطفي، ففهمنا أن العمليات التي تقع عند التقمص العاطفي تختلف عما تظهر منه من الآثار. ولذلك، نجد ظاهرة التقمص العاطفي خلال النصوص الشرعية غالبها في صورة آثاره، ومن أبرزها الإيثار (altruism).

إن الإيثار في اللغة مصدر آثر يؤثر إيثاراً، قال ابن منظور: "وأثر أن يفعل كذا أثرا وأثر وآثر، كله: فضل وقدم. وآثرت فلاناً على نفسي: من الإيثار. الأصمعي: آثرتك إيثاراً أي فضلتك. وفلان أثير عند فلان وذو أثرة: إذا كان خاصا"[48]. وأما معناه الاصطلاحي، قال ابن مسكويه: "الإيثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه"[49]. ذكر ابن القيم الفرق بين الإيثار والجود والسخاء وكل منها يفيد معنى البذل والعطاء. فهناك ثلاث مراتب؛ الأولى: السخاء الذي لا يقله البذل، ولا يشق عليه، والثانية: الجود الذي يعطي الأغلب، ويبقى له شيئاً، والثالثة: الإيثار الذي يقدم غيره بالشيء مع احتياجه إليه، وهذا أعلى المراتب[50].

قد تتنوع الأسباب المؤدية إلى الإيثار والغيرية التي ترتبط بالتقمص العاطفي منها؛ التفاعلات العاطفية، والإستناد السببي[51] (causal attribution)، وأخذ الأدوار واعتبار منظور الآخرين، والعوامل الظرفية، والسمة الشخصية[52].

---

[47] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص٤٨١.

[48] ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٧.

[49] أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، (د.م: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، د.ت)، ص٣١.

[50] انظر: شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: عماد عامر، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٢، ص٢٣٨.

[51] ويعنى بذلك: محاولة تحديد سبب أفعال الغير وهي تتعلق بالجانب العقلي المعرفي للإنسان.

[52] انظر:

Davis, *Empathy: A Social Psychological Approach*, 126-152.

ومهما كانت أسبابه وطرقه التي يحدث بها، الباعث على الإيثار والغيرية عند المؤمنين لا بد أن يكون الإيمان بالله ﷻ واحتساب أجره حتى يكون العمل مقبولاً عند الله.

إن الترغيب والحث على الإيثار والمواساة متوافرة في القرآن والسنة النبوية. منها قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر]. مدح الله ﷻ الأنصار ووصفهم بثلاث خصال حميدة؛ حبهم للمهاجرين، وسلامة صدورهم على ما نال به المهاجرون من الفضائل والمناقب، والإيثار – الوصف الذي سبقوا به غيرهم – حيث بذلوا أموالهم للمهاجرين مع الحاجة إليها. من أين تأتي جاهزيتهم للإيثار؟ أورد الله ﷻ خصلتين للأنصار قبل الإيثار وهما؛ حبهم لإخوانهم المهاجرين، وانتفاء الحسد منهم فيما يؤتوا المهاجرون من الفضائل. إن حبهم وودهم للمهاجرين يعتبر من الآثار الوجدانية التي ينطلق من حبهم لله والرسول ﷺ.

وأما انتفاء الحسد منهم، فإيراده في الآية له شأن عظيم لو فهمنا ما للحسد من الخطورة في البناء الاجتماعي، خاصة والنبي ﷺ آنذاك كان في صدد تأسيس الدولة بالمدينة المنورة. والحقيقة، إن الحسد أهون عرضة لمأسسته كالقوى الدافعة في المجتمع مقارنة بمشاعر أخرى مثل الفرح والحزن كما لاحظنا كثيرا في الساحة السياسية. وهو يحدث لأسباب كثيرة منها لأجل اختبار مدى العدالة التي تطبق عند انحلال مشاكل الإنسان في الحياة[53]. ويمكننا القول بأن انتفاء الحسد من الأنصار جاء من إيمانهم ويقينهم بالعدل الإلهي وعدالة النبي ﷺ حيث إنه وحي يوحى إليه، فيذهب خوفهم من الظلم والضرر في الدنيا والآخرة. والحسد كما عرفه العلماء رغبة ذهاب النعمة عن صاحبها بصرف النظر عن أن تكون هذه النعمة دينية أو دنيوية. ولا يمكن أن يجتمع الحسد والتقمص العاطفي حيث يرى الحاسد محسوده في السعة، وأما في التقمص العاطفي، عرض للملاحظ أن المستهدف في الفاقة والحاجة.

وأورد أبو هريرة رضي الله عنه قصته[54] إذ ذات يوم جاع جوعاً شديداً وتطلع إلى من يطعمه، فمر أبو بكر وعمر على طريق جلس فيه أبو هريرة وسألهما عن آية من القرآن، وسؤاله هذا لأجل أن يلتفت إليه المرء ويدرك ما له من الجوع والحاجة إلى الطعام. ولكن يبدو أن أبا بكر وعمر فهما سؤال أبي هريرة على ظاهره. حين مر النبي ﷺ ورأى أبا هريرة، تبسّم إذ عرف ما به من الحاجة دون تصريح أبي هريرة بذلك.

---

[53] انظر:

Helmut Schoek, *Envy: A Theory of Social Behavior*, (Indianapolis: Liberty Fund, n.d), 7-11. http://www.theaugeanstables.com/wp-content/uploads/2013/02/schoeck-envy-1.pdf, accessed on September 18, 2023.

[54] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا، ج٨، ص٩٦، رقم الحديث: ٦٤٥٢؛ والترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم الحديث: ٢٤٧٧.

في هذا الموقع حدثت عملية التقمص العاطفي بين النبي ﷺ وبين أبي هريرة. ورأت الباحثة أنه يحمل إنجاز ذلك الأمر استناد النبي ﷺ إلى تفرغ أبي هريرة التام لملازمة النبي ﷺ وتتبين منها عادة أبي هريرة من معاناة ألم الجوع، كما ورد في بعض الأحاديث، قال أبو هريرة: «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيا علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع»[55]، وقال أيضاً: «يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني[56]، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون»[57]، ونقل ابن حجر العسقلاني رواية فيه: "عن أبي هريرة: كنت من أهل الصفة وإن كان ليغشى علي فيما بين بيت عائشة وأم سلمة من الجوع"[58]. فالعلاقة بين النبي ﷺ وبين أبي هريرة الموجودة مسبقاً تحمله ﷺ على معرفة حاجة أبي هريرة دون إعلانه بذلك، وهذا يعتبر من العملية الإدراكية المتقدمة بما إن الملاحظ يستخدم التلميحات يقدمها المستهدف للوصول إلى المعلومات القائمة عنده وتطبيقها لاستنباط إشارات المستهدف. وكذلك كون أبي هريرة من أهل الصفة يعد من النمطية (stereotype) التي يكون بها معروفاً عند الناس أنه من الفقراء ينام في المسجد النبوي لا مأوى له ولا مال. وإن كانت النمطية عادة تأتي بدلالات سلبية ولكنها، بلا ريب، من الأمور المبدئية التي يتمكن بها فهم الإنسان وهي تساهم، بشكل بليغ، في الدقة التعاطفية[59].

---

[55] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وما أجمع عليه الحرمان مكة، والمدينة، وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ والمهاجرين، والأنصار، ومصلى النبي ﷺ والمنبر والقبر، ج٩، ص١٠٣، رقم الحديث: ٧٣٢٤.

[56] قد ادعى البعض أن الحديث يدل على مبالاة أبي هريرة على شبع بطنه من ملازمة النبي ﷺ، ولكن المقصود من ذكره أنه لا يستغرق في أمور أخرى غير سماع وحفظ أحاديث النبي ﷺ حتى لقمة العيش حيث وجدها عند النبي ﷺ. انظر: حارث بن سليمان، أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ دراسة حديثية تاريخية هادفة، (الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٧٠.

[57] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس، ج٣، ص١٠٨، رقم الحديث: ٢٣٥٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ج٤، ص١٩٣٩، رقم الحديث: ٢٤٩٢.

[58] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١١، ص٢٨٤.

[59] انظر:

Hodges, Sara D., and Murat Kezer, "It Is Hard to Read Minds without Words: Cues to Use to Achieve Empathic Accuracy", *Journal of Intelligence* Vol. 9, no. 27, 3. https://doi.org/10.3390/jintelligence9020027, accessed on September 19, 2023.

وقد دفع تعاطف النبي ﷺ إلى سلوك المساعدة حيث طلب أبا هريرة اللحاق به إلى بيته وحين وجد ما له من لبن لإشباعه، فإيثار النبي ﷺ على نفسه لا يقف عند أبي هريرة فقط، بل يتعدى إلى أهل الصفة إذ أمر أبا هريرة أن يدعوهم لمشاركتهما في تناول اللبن لإدراكه ما بهم من معاناة الجوع كما كان أبو هريرة. وهذا من عادة النبي ﷺ كما حكاه أبو هريرة في الحديث إنه "إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها". وطلب منهم أن يشربوا اللبن حتى يشبعوا قبل تناوله لإشباع نفسه.

إن التقمص العاطفي لا يثير صفة الإيثار والغيرية فحسب، بل يتمكن منه أن يتخلق الإنسان بخلق أخرى في معاملته مع الناس مثل الصبر، والحلم، والرفقة، والعفو والصفح، والوقار والثبات. ويتجلى ذلك من خلال معاملة النبي ﷺ مع زوجاته وما تحدث منهن من الغيرة كما جاء في الحديث عن أنس قال: "كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت"[60]. يظهر حلم النبي ﷺ حين جمع الصحفة التى انكسرت بأناة دون توبيخ زوجته وتعنيفها بل تقمص عاطفتها حيث عبّر بما تتوقد في نفسها من الغيرة.

قد ينطبق التقمص العاطفي على الأطفال أيضاً، وهذا كذلك يمكن ملاحظتها في تعامل النبي ﷺ معهم، وكان ﷺ أرحم الناس حيث أطال سجوده في الصلاة حتى ينتهي حفيده من الركب على ظهره، قال ﷺ: «ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[61]. هذا الحديث وما حدث من ترك النبي لحفيده أن يركب على ظهره حين يؤم الناس في الصلاة يشير إلى اعتراف النبي ﷺ أن للأطفال حوائج التي تساوي أهميتها في قضائها مثلما للكبار من الحوائج والضروريات في الحياة. إن الاضطراب العاطفي غالباً يطرأ حينما حاجة المرء الأساسية في الحياة لم يتم وفاءها. فلما تقمص الإنسان عواطف الآخرين، ذلك يعني أنه يأخذ منظورهم بعين الاعتبار ويعترف على ما بهم من الحوائج التي لا بد من استيفاءها حتى يسعدوا في الحياة.

للأطفال حوائج كما للكبار حوائج. وقد اكتشف في الوقت الحاضر خلال البحوث والدراسات، وكان النبي ﷺ يدرك ذلك قبل قرون طويلة، أن اللعب يعد نشاطا رئيسيا الذي بواسطته تتعلم الأطفال. وهو عمل بيولوجي طبيعي

[60] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة، ج٧، ص٣٦، رقم الحديث: ٥٢٢٥.

[61] أخرجه النسائي في سننه. انظر: أحمد بن شعيب بن علي، النسائي، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٢٩؛ وأحمد في مسنده، ج٢٥، ص٤٢٠، رقم الحديث: ١٦٠٣٣. قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن صحابيه لم يخرج له سوى النسائي".

غير اختياري بالنسبة لهم، ويتبوأ أهمية بالغة لتحقيق سلامتهم في النمو والتطوير[62]. وقد يصعب على الآباء والأمهات خاصة، والبالغين عموما، أن ينظروا الواقع بمنظور الأطفال حتى يقللوا من شأنهم ويعتبرون منظورهم هيناً طفيفاً. والحديث يدل على أن النبي ﷺ يراعي منظور الأطفال وحاجتهم إلى اللهو واللعب والمرح ولا يوبخ طبيعتهم في ذلك. ولذا، يتاح للنبي ﷺ الصبر والحلم في معاملتهم.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه: إن أبرز استنتاجات الدراسة تكمن في:

- إن مصطلح "التقمص العاطفي" نشأ متأخرا في أواخر القرن التاسع عشر وله طبقات وأبعاد مختلفة التي تتضمن الجانب الوجداني والجانب العقلي المعرفي في الإنسان حيث يمكن اكتشافه من خلال النصوص الشرعية. وعلى شكل بسيط، فإنه يعَرّف بالقدرة على معرفة مواقف الآخرين سواء عاطفياً أو فكرياً.
- كان النبي ﷺ يتصف بالرفقة والرحمة وهذه الصفات من ثمرات التقمص العاطفي. فكان ﷺ يشق عليه الأمر الذي يشق على المؤمنين ويتدفق اهتمامه التعاطفي على الكافرين بسبب ما يقع منهم من الكفر بالله ﷻ حتى يكاد إهلاك نفسها بسبب حزنه على ذلك.
- إن الإيمان بالله واليوم الآخر لا بد أن يكون باعث المؤمن على ما يصدر منهم من التقمص العاطفي. كان حرص النبي ﷺ في إيصال الخير للناس وهدايتهم واهتمامه بما يشق عليهم ويعنتهم ليس مجرد من طبيعته الخاصة، وإنما ينطلق ذلك من قوة إيمانه ﷺ بالله ﷻ واليوم الآخر. ويتجلى ذلك من التزامه ﷺ بمكارم الأخلاق عموماً، والتعاطف والرحمة للخلق خصوصاً.
- إن الإيمان بالله واليوم الآخر، الذي يتكون من اعتقاد الإنسان وإرادته، من الأمور التي يأذن الله للإنسان إدارتها وتأثيرها. فلذلك، يتاح لنا السعي على الاقتداء بالنبي ﷺ في الالتزام بالأخلاق الفاضلة على وجه العموم، والرحمة للخلق على وجه الخصوص لأنه من نطاق اختيارات الإنسان.
- هناك علاقة وثيقة بين الإيمان بالله والتطور الأخلاقي من خلال التعاطف والتراحم بين الخلق إذ ينشئ في الإنسان الدافع الأخلاقي بحمل المسؤلية على مصلحة الآخرين، خاصة لمن يصاب بالألم، والخطر، والبؤس وغير ذلك، وهذا يدفع الشخص إلى المعاونة لإزالة ضررهم.
- إن قدرة الإنسان على التقمص العاطفي ربانية المصدر. لو كانت الاستمرارية في الحياة يحصل عليها الأصلح والأقوى كما اعتقدها مؤيدو نظرية التطور، كيف يمكن للإنسان أن يكون لديه الميول في تضحية مصلحته الذاتية وإيثار الآخرين؟

---

[62] انظر:

Rosalind Charlesworth, *Understanding Child Development*, (Wadsworth: Cengage Learning, 2014), 53.

- تشير عدة أحاديث النبي ﷺ إلى حث الشرع في اعتبار منظور الآخرين، وهو يكوّن جزءا مهما في عملية التقمص العاطفي ويعد من العمليات الإدراكية المتقدمة قد يوظفها الإنسان في معاملته مع الناس.
- قد ينهض الإنسان بمكارم الأخلاق المتعددة بسبب قدرته على التقمص العاطفي مثل الإيثار والغيرية، وسلوك المساعدة، والصبر، والحلم، والأناة، والرفقة، والوقار والثبات.

والله تعالى أعلم. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.

REFERENCES

Arabic

Abū Dāud, Sulaimān bin al-Ashʿath al-Sijistānī. (2009). *Al-Sunan*. (Syuʿaib al-Arnāʾuṭ Ed.). Beirūt: Dār al-Risālah al-ʿIlmiyyah.

Aḥmad, bin Muḥammad bin Ḥanbal. (2001). *Al-Musnad*. (Syuʿaib al-Arnāʾūṭ Ed.). Beirūt: Muassasah al-Risālah.

Al-ʿAsqalānī, Aḥmad bin ʿAlī Ibn Ḥajar. (1379H). *Fatḥ al-Bārī Syarḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Beirūt: Dār al-Maʿrifah.

Al-Bayhaqī, Aḥmad bin al-Ḥusayn. (2003). *Al-Sunan al-Kubrā.* (Muḥammad ʿAbdul Qādir ʿAṭā Ed.). Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismāʿīl. (2002). *Al-Jāmiʿ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umur Rasulillah ṣallallahu ʿalayhi wa sallam wa Sunanihi wa Ayyāmihi.* (Muḥammad Zuhayr al-Naṣr Ed.). n.p: Dār Ṭauq al-Najāt.

Al-Bustī, ʿIyāḍ bin Mūsā. (1998). *Ikmāl al-Muʿallim bi Fawāʾid Muslim.* (Yaḥyā Ismāʿīl Ed.). Miṣr: Dār al-Wafāʾ.

Al-Ghazālī, Muḥammad bin Muḥammad. (n.d). *Iḥyāʾ ʿUlumiddīn*. Beirūt: Dār al-Maʿrifah.

Al-Maydānī, ʿAbdur Raḥmān Ḥasan Ḥabannakah. (2000) *Maʿārij al-Tafakkur wa Daqāʾiq al-Tadabbur.* Dimasyq: Dār al-Qalam.

Al-Nasāʾie, Aḥmad bin Syuʿaib. (1986). *Al-Mujtabā min al-Sunan.* (ʿAbdul Fattāḥ Abū Ghuddah Ed.). Ḥalb: Maktab al-Maṭbūʿāt al-Islāmiyyah.

Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Aḥmad. (1964). *Al-Jāmiʿ li Aḥkām al-Qurān*. (Aḥmad al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭfisy Ed.). al-Qāhirah Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Ṣanʿānī, Muḥammad bin Ismāʿīl. (2011). *Al-Tanwīr Syarḥ al-Jāmiʿ al-Ṣaghīr*. (Muḥammad Isḥāq Muḥammad Ibrāhīm Ed.). al-Riyāḍ: Maktabah Dār al-Salām.

Al-Ṣanʿānī, Muḥammad bin Ismāʿīl. (n.d). *Subul al-Salām.* N.p: Dār al-Ḥadīth.

Al-Tirmizī, Muḥammad bin ʿĪsā. (1998). Jāmiʿ al-Tirmizī. (Bashshār ʿAwwād Maʿrūf Ed.). Beirūt: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Darrāz, Muḥammad bin ʿAbdullah. (1998). *Dustūr al-Akhlāq fī al-Qurān*. Beirūt: Muassasah al-Risālah.

Darrāz, Muḥammad bin ʿAbdullah. (1993). *Madkhal ilā al-Qurān al-Karīm: ʿAraḍ Tārīkhiyy wa Taḥlīl Muqārin*. Al-Kuwait: Dār al-Qalam.

Ḥārith bin Sulayman. (2007). *Abū Hurairah Raḍiyallahu ʿanhu Ṣāḥib Rasulillah ṣallallahu ʿalayhi wa sallam Dirāsah Ḥadīthiyyah Tārīkhiyyah Hādifah.* Al-Kuwait: Maktabah al-Kuwait al-Waṭaniyyah.

Ibn al-Qayyim, Syamsuddīn Muḥammad bin Abī Bakr. (2003). *Madarij al-Sālikīn Bayna Manazil Iyyāka Naʿbudu wa Iyyāka Nastaʿīn.* (ʿImād ʿĀmir Ed.). al-Qāhirah: Dār al-Ḥadīth.

Ibn Fāris, Aḥmad bin Zakariyyā al-Qazwīnī. (1979). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*. (ʿAbdus Salām Muḥammad Hārūn Ed.). n.p: Dār al-Fikr.

Ibn Khaldūn, ʿAbdur Raḥmān bin Muḥammad. (1988). *Dīwān al-Mubtadaʾ wa al-Khabar fī ʿArab wa al-Barīr wa man ʿĀṣarahum min Zawī al-Syaʿn al-Akbar.* Beirūt: Dār al-Fikr.

Ibn Manẓūr, Muḥammad bin Mukarram bin ʿAlī. (1414). *Lisān al-ʿArab*. Beirūt: Dār al-Ṣādir.

Ibn Miskawayh, Aḥmad bin Muḥammad bin Yaʿqūb. (n.d). *Tahzīb al-Akhlāq wa Taṭhīr al-Aʿrāq*. (Ibn al-Khaṭīb Ed.). n.p: Maktabah al-Thaqāfah al-Dīniyyah.

Ibn Taimiyyah, Taqiyuddīn Aḥmad bin ʿAbdul Ḥalīm. (1995). *Majmuʿ al-Fatāwā.* (ʿAbdur Raḥmān bin Muḥammad bin Qāsim Ed.). al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Suʿūdiyyah: Majmaʿ al-Malik Fahd.

Muslim, bin al-Ḥajjāj. (n.d). *al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi Naql al-ʿAdl ʿan al-ʿAdl ilā Rasulillah ṣallallahu ʿalayhi wa sallam.* (Muḥammad Fuʾad al-Bāqī Ed.). Beirūt: Dār Iḥyāʾ al-Turath al-ʿArabiy.

English

Alston, William P. (1975). "Traits, Consistency and Conceptual Alternatives for Personality Theory". In *Journal for the Social Theory Behavior*. no. 5. https://andrewmbailey.com/wpa/TraitsConsistencyAlternatives.pdf.

Bošnjaković, J. & Radionov, T. (2018). "Empathy: Theories, Concepts and Neuroscientific Basis". In *Alcoholism and Psychiatry Research*. no. 54: 6-7. DOI: 10.20471/dec.2018.54.02.04

Charlesworth, Rosalind. (2014). *Understanding Child Development*. Wadsworth: Cengage Learning.

Davis, Mark H. (1994). *Empathy: A Social Psychological Approach*. Wisconsin: Brown & Benchmark Publishers.

Eliot, Lise. (1999). *What's Going on in There: How the Brain and Mind Develop in the First Five Years of Life*. New York: Bantam Books.

Gallinsky, Ellen. (2010). *Mind in the Making: The Seven Essential Life Skills Every Child Needs*. New York: HarperCollins Publishers.

Hodges, Sara D. & Kezer, Murat. (2021). "It Is Hard to Read Minds without Words: Cues to Use to Achieve Empathic Accuracy". In *Journal of Intelligence.* Vol. 9. no. 27. https://doi.org/10.3390/jintelligence9020027

Ickes, William. (1993). "Empathic Accuracy". In *Journal of Personality*. Vol. 61. no. 4. https://greatergood.berkeley.edu/images/uploads/Empathic_Accuracy.pdf

Lanier, Jaron. (2018). *Ten Arguments for Deleting Your Social Media Accounts.* New York: Henry Holt and Company.

Laurent, Sean M. (2011). "Empathic Merging of Selves: Perspective Taking and Self-Other Overlap". In *Psychology of Empathy*, edited by Danielle J. Scapaletti. New York: Nova Science Publishers, Inc.

Malle, Bertram F. & Hodges, Sara D. eds. (2005) *Other Minds: How Humans Bridge the Divide Between Self and Others*. New York: Guilford Press.

Robinson, Michael D., Watkins, Edward R., Harmon-Jones, Eddie, eds. (2013). *Handbook of Cognition and Emotion*. New York: The Guilford Press. https://www.uv.mx/rmipe/files/2017/12/handbook_of_cognition_and_emotion.pdf

Schoek, Helmut. (n.d). *Envy: A Theory of Social Behavior*. Indianapolis: Liberty Fund. http://www.theaugeanstables.com/wp-content/uploads/2013/02/schoeck-envy-1.pdf

The Science of Emotion: Exploring the Basic of Emotional Psychology. (2019). University of West Alabama Online. https://online.uwa.edu/wp-content/uploads/2019/04/Science-of Emotion-Guide-UWA.pdf

Wondra, J. D., & Ellsworth, P. C. (2015). An Appraisal Theory of Empathy and Other Vicarious Emotional Experiences. In *Psychological Review*. Vol. 122. No. 3. 411–428. https://doi.org/10.1037/a0039252